الجزء السابع



السنة الثالثة

١٥ يوليو سنة ١٩٠٢



« جلالة القيصرة امبراطورة الروسيا »

القسم الأدبي

﴿ الامة الروسية ﴾

« عبرة للمصريين »

لست اريد الان أن اكتب بالتفصيل والتطويل عن تاريخ الامة او الدولة الروسية وما طرأ عليها من الانقلابات العظيمة او ما دخلت فيه من الادوار المختلفة وكيف تدرجت في سلم التقدم والعمران فان هذه المباحث قد وفتها الكتب التاريخية المطولة حقها من البحث ولم تترك فيها قولاً لقائل انما انا اقصد ان اقول كلمة مختصرة عن حال الامة الروسية الحاضرة لان في ذلك اكبر تذكرة واعظم عبرة لابناء وطني الاعزاء ·

يدرك المطلع على ما جريات الاحوال في البلاد الروسية والواقف على دقائق شؤونها الحالية ان هذه الامة لا تختلف عن امتنا المصرية المحبوبة في شيء ·

فالروسيون كالمصريين الان لهم استعداد طبيعي للتقدم وميل كبير للارتقاء ولكن تنقصهم الوسائل والمعدات الموصلة الى ذلك واهمها وجود الرجال الاكفاء المقتدرين الذين يقودون الامة ويرشدونها الى طريق المجد والنجاح · وكلما ظهر بين الامتين رجال من هذا القبيل نهضتا نهضة محسوسه وظهرت مواهبهما ونفحات استعدادهما ظهور الشمس في رابعة النهار

عاشت الامة المصرية في ظلام الجهل وتحت نير الظلم الثقيل حيناً من الدهر الى ان قيض الله لها شهماً هماماً وبطلاً مقداماً مثل محمد علي باشا فنهض بها الى اوج التقدم وذروة الارتقاء ونالت على يده من الاصلاح الحسي والمعنوي ما لا

ينكره أحد من العالمين .

كذلك اتاح الله للامة الروسية ان تنهض وتحيا بحياة رجل واحد هو امبراطورها العظيم بطرس الاكبر الذي لم يكن يقل عن محمد علي غيرة وهمة واقداماً وقد كان وجوده بركة عظمى على الامة والبلاد الروسية . وهذا معنى قولهم ان الامة قد تحيا بفرد وتموت بفرد وان القادة المخلصين اقدر من سواهم على احياء الامم والشعوب وخصوصاً اذا كانت حديثة النشأة في عالم الحضارة ومعرفة الحقوق والواجبات مثل الامة المصرية والروسية وما اقرب الشبه بينهما من هذه الوجهة .

وضع كل من بطرس الاكبر ومحمد علي تلك البذرة الطيبة والخميرة الصالحة في امتهما و بلادهما وكان لا بد من ظهور ثمرها وتأثيرها ولو بعد حين وجاء بعدهما من يتعهدها و يعتني بها فنهضت الامتان نهضة كبيرة يعزى الفضل فيها أيضاً لخلف هذا السلف الصالح فان امير مصر الحالي والقيصر نقولا امبراطور الروسيا العظيم يمثلان والحق يقال في كل اعمالهما اشرف مبادي الغيرة الوطنية وحب الخير لامتهما و بلادهما اشرف تمثيل وقد ولدا وتربيا في عصر الحضارة والنور فعرفا اهم واجبات الراعي النبيل نحو رعيته والحاكم العادل نحو بلاده وامته على ان ظواهر الحال تدل ان الامة الروسية كادت أن تسبق الامة المصرية بمراحل وانها تخطو في سبيل التقدم خطوات اوسع من خطواتها ولعل السبب الحقيقي في ذلك هو ما اوضحناه في مقالتنا السالفة عن محمد علي وهي ان حكومة مصر و بلادها ليست مستقلة والحكومة الاجنبية المحتلة بالطبع لا يهمها ترقية البلاد مثل الحكومة الوطنية المستقلة وقد اثبتنا بالادلة العقلية والنقلية ان الامم الحديثة النشأة في عالم الحضارة يكون نهوضها وتقدمها على يد الحكومة لا على يد الامة بادىء ذي بدء حتى اذا ادركت الامة اشدها و بلغت رشدها تخلصت من نير الحكومة ووصايتها وكانت هي القادرة على القيام

بكل احتياجاتها وشؤونها ولا تكون الحكومة وقتئذ امامها الا نائباً او مندوباً او وكيلاً اقامته من قبلها لتنفيذ مطالبها واتمام رغائبها على ان هذا ليس هو السبب الوحيد في سبق الروسيين للمصريين بل هناك سببان آخران لا يقلان عنه اهمية وخطارة اولهما ان الامة الروسية تسير في طريق التقدم وهي مؤملة بالفوز والنجاح وقد عولت على نفسها واعتمدت على ذاتها واما نحن فقد استولى علينا الجبن والخمول واخذ منا القنوط واليأس كل مأخذ حتى صار الكتاب منا لا يخجلون من وضع الكتب والمؤلفات المملوءة بعبارات الهجو في الحالة الحاضرة وقطع الامل من كل تقدم او نجاح في المستقبل كما فعل احمد افندي عمر صاحب كتاب (حاضر المصريين) والعهد ليس ببعيد وما دروا ان كل من جد وجد ومن سار على الدرب وصل وان تمدن اوربا واميركا العظيم لم يتم الا بالتأني والتدريج والطفرة محال كما يقولون ٠

وثانيهما ان الامة الروسية تلتف حول دعاة الاصلاح فيها وتعضدهم وتأخذ بناصرهم وتشد ازرهم وهذا بالطبع يشجعهم على موالاة العمل بجد واجتهاد فتظهر نفحات اتعابهم وثمرات مساعيهم ان عاجلا او آجلا خذ لك على ذلك شاهدا ان الفيلسوف تولستوي الروسي لما قام فاذاع مبادئه العالية وافكاره السامية التي لا يقصد بها غير ترقية حالة بلاده وخدمة امته ونفع اوطانه وتصدى له رجال الدين فحرموه واضطهدوه ما كان من ابناء النشأة الحية في الامة الا ان التفوا حوله ونهضوا جميعاً يعترفون بجميله وينادون بفضله ويلزمون الحكومة بوجوب اتباع افكاره الاصلاحية والعمل بموجبها فاين ذلك مما فعلناه نحن لما قام بين ظهرانينا مثل قاسم بك امين ينادي بفكر اصلاحي ورأي يراه في اعتقاده نافعاً لبلاده وكم صادف من ابناء الامة من اللوم والتعيير ٠

يتضح من ذلك كله ان الامة المصرية على استعداد تام للوصول الى ارقى

معارج الفلاح وان لامعنى لليأس والقنوط بالمرة وان ما نالته امة اليابان الشرقية الضعيفة وما هي عليه الدولة الروسية الان فيه اعظم عبرة لنا وما احرانا باقتفاء آثارهم والسير في خطتهم وليس على الله امر عسير. اذا علمت ذلك كله فقل لاهل اليأس والقنوط مثل احمد افندي عمر وسواه من اصحاب مبدائيه واعتقاده انكم انما تقولون ما تقولون اما عن جهل بحالة امتكم او لغرض في نفسكم لا يعلمه الا الله وعلى كل حال فانتم مخطئون ملامون والسلام على من اتبع الهدى وعرف ان يفرق بين الحق والباطل

المناظرة والمراسلة

﴿ دين الهنود ﴾

الهند مماكة شديدة التمسك بالشعائر الدينية والمذاهب الصوفية ولا غرابة في ذلك فانها من الممالك الشرقية التي لا ينكر احد شدة تمسكها بالعقائد الدينية

اما سبب تعدد ديانات شعوبها هي كثرة معتقداتهم ومذاهبهم وسنوضح لك ايها القارئ الكريم اشهر االعقائد المتبعة عندهم ونقتصرعلى بيان صغيرلكل منها

البراهمة ـ ديانة الفاتحين الارينس ومنشأها مذهب طبيعي يقول بالاعتقاد بالله مع انكار الوحي وهذه العقيدة تثبت ان فوق « القدير » المستتر ثالوث مركب من ثلاث كائنات وهى برهمة الخالق وفيسو الحافظ وسيفا المبيد وتلك الديانة يعتنقها ما ينوف عنماية وخمسة عشر الف شخصاً وهي الديانة الرابعة في عداد التابعين لها بعد البوذية والنصرانية والاسلامية

البوذية ـ مؤسس هذا المذهب هو سد"ازتا البوذ" (العالم الشهير) . وقد فاقت هذه الديانة سابقتها التي لا تختلف عنهـا الا بالشيء اليسير وصارت الديانه

العمومية لسكان الهند مدة من الزمن ولكن مالبثت ان ظهرت ديانة البراهمة ثانية وطارد تابعوها البوذيين فقهروهم واجبروهم على الالتجاء الى جاوا وشواطيء نهر الكنج والصين واليابان وتيبت ومنجولي حيث انشأوا عصر سعادة وبهاء جديدين • اما التابعين لهذه الديانة فقليلو العدد معتزلون عن غيرهم حيث لا يسكنون الا بلاد الكنج وسفح جبال همالايا وسيلان والى غير ذلك من الامكنة

الجنائية •ـ كانت الديانة البوذية بالنسبة لديانة البراهمة كالنصرانية بالنسبة الى اليهودية ولكن ما لبثت ان اينعت حتى ظهر من خلالها عقائد جديدة وكان الموجد لها هو جانيا (الظافر) وسميت بأسمه ثم انقسمت ايضاً هذه الديانة الى قسمين وكان آله ارباب هذا المذهب هو بأرنافيزا الذي كانوا يعتبرون ان لا فرق بينه و بين بوذا واما الاله الاخر فكانت ارواح الرجال الصالحين الساكنين في السماء واقل هذه الالهة درجة هو ما يسمونه بفاس ونقلت هـذه الديانة عند البراهمة مسألتين مهمتين اولاهما انتقال الارواح من بعض الاجسام الى بعض والثانية اعتبار نهر الجنج مقدساً

النتانكية •ـ ظهر هذا المذهب في القرن الخامس عشر وكان المؤسس له نانكا وموضوعه البحث في وجود الله مع انكار الوحي مطلقاً وهو الحد الوسط بين الديانة البوذية والبرهمانية ويقدر عدد الذين يعتنقون هذا المذهب ٤٥٠٠٠٠٠ نفس •

الاسلامية .ـ عند ما اغار المسلمون على البلاد الهندية وفتحوها اجبروا سكان تلك البلاد على اتباع عوائدهم واخلاقهم ولغتهم ومعتقداتهم فاعتنق عدد كبير منهم الديانة الاسلاميه الا انهم اقل تعصباً وتمسكاً بما حواه القرآن عند اخوانهم الغربيين اذ انهم يسمحون بشرب الخمر ويقسم المسلمون في الهند الى جملة طوائف اشهرها طائفة الفقراء او الشحاذين وطائفة البوساء وهذه الفرقة الاخيرة تسكن جملة مقاطعات

مختلفة وعلى العموم فالمسلمون يقطنون بلاد المونجول والافغان وبلوستان والعرب والعجم واكثرهم من الجنس الهندي الاصلي ويبلغ عددهم ١٧ مليون نفس اعني ثمن سكان الهند تقريباً

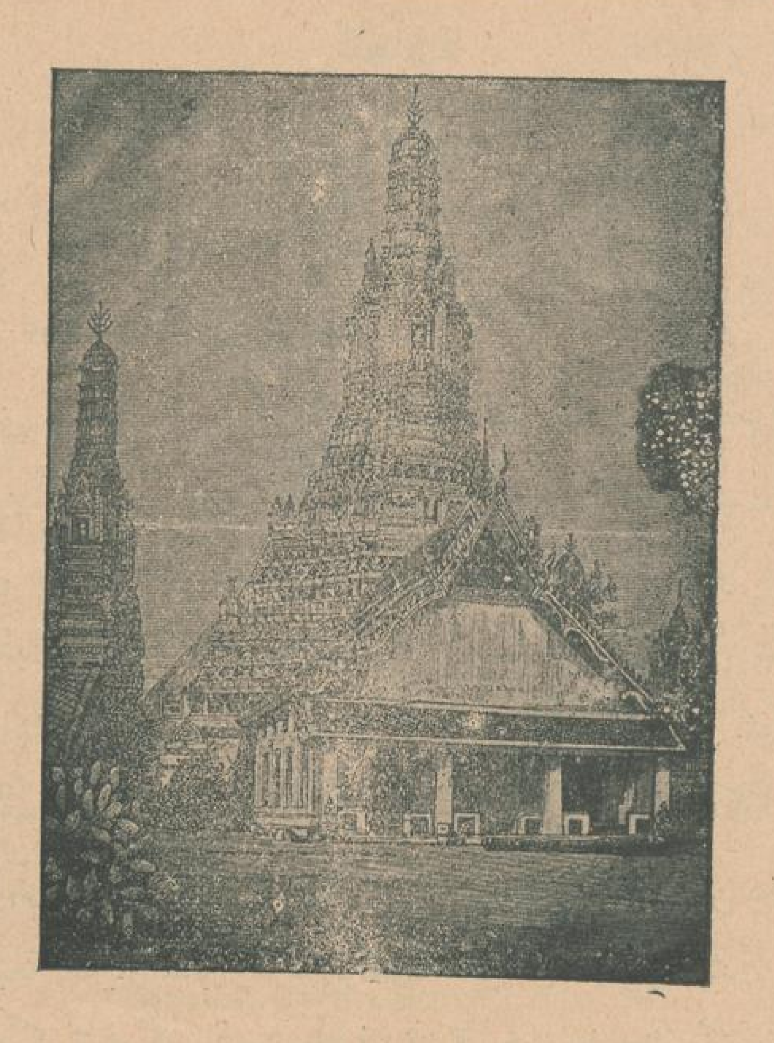
الصائبين او عبدة النار .ـ يعتنق هذه الديانه نفر قليل من السكان ومرجعهم الى بلاد العجم •

اليهودية .ـ تبع هذه الديانة جماعة الاسرائيليين المنتشرين في جميع انحاء الهند وقد اخلصوا التمسك باهداب الشريعة الموسويه واسفار التلمود

المسيحية .ـ وجدت هذه الديانة في الزمن الاقصى من ازمنة بعيده جداً وذلك بفضل واجتهاد المرسلين النساطره حتى انه عند مادخل البرتغاليون في بلاد الهند وجدوا هناك مسيحيين من تبعة القديس توما وما زالت هذه الديانه تتقدم وتنتشر حتى وصلت الى درجة عالية هذا وتنقسم هذه الديانة الى جملة مذاهب منها الكاثوليكيه التى لم يبلغ شأوها الا بمساعدة البرتغاليين و يقدر عدد التابعين لها بستمائة الف نسمه ومنها الانجيلية وهي المنتشرة في البقاع التي يظللها العلم الانجليزي ومنها مذهب لوتير الذي قام بتعليمه جملة ارساليات ويعتنق هذا المذهب مايقرب عن عشرين الف هندي ومنها المذهب الارمني ولا يعمل به الا الارمنيين ومنها اليعقوبيين الذين يعترفون بسلطة بطريرك انطاكيا وعددهم مائتين الف رجل ومنها مذهب النساطرة الذي كان فاتحة دخول المعتقدات المسيحيه في هذه البلاد وعند ما دخل البرتغاليون في بلاد الهند شرعوا في اكراه النساطرة على اعتناق المذهب الكاثوليكي فساموهم اشد العذاب واوردوهم مناهل الاستعباد ولكن ذهبت آمالهم ادراج الرياح ولم تجد نفعاً والآن ترى النساطرة الذين يظلهم العلم البريطاني يكونون شبه جمهوريه دينيه تتكون من خمسمائة الف عضواً وقد قام في

الازمنة الاخيرة جرسيه‌ده تاسي وحرض فى هذه البلاد حركة اسلامية اتسع نطاقها بكيفية توجب تعكير صفاء النفوذ الانكليزي في الهند وفي هذا المقام نذكر ان الديانه الاسلامية تتداخل في جميع البقاع التي توجدفيها المعتقدات الهنديه الاصليه ويزداد عدد تابعيها تدريجياً وذلك بخلاف الديانه المسيحيه واما هذه الحركه التي سببها المسيو جرس ده تاس فتعزى الى قبيلة الوهابيين ومضطهدي الصور المتعصبين الذين لهم على تلك البلاد سيطرة ونفوذ عظيمين وعلى العموم فان الحكومة الانكليزية تتخذ الاحتياطات اللازمة وتتحفظ تحفظاً دقيقاً للانتصار على هذه الاعتقادات الباطلة والوساوس التي تخيم على عقول الهنود ورأت ان استعمال الطرق الادبية للتوصل الى هذا الغرض السامي خير لها من استعمال القوة والسيطرة والاضطهاد ولوكان التقدم بطيء جداً الا ان النجاح محقق ولا غرابة في ذلك فانه يوجد في بلاد الهند مالا يروق نظره لدى جماعة الانكليز فانهم لا يريدون مثلا وجود طائفة الفقراء يتجولون في الشوارع وهم عراة الاجسام بشعي المنظر يشمئز منهم كل ذي نفس أبية ولا يقبلون ان يروا تفشي الفحشاء والفجور المخجل على جدران المعابد ولا يرغبون نظر أولائك الكسالى الذين يقضون السنين الطوال وهم على قمم الاشجار كتماثيل صماء لا حراك بها ينتظرون مد يد مساعدة المارين والاحسان عليهم بقوتهم اليومي بواسطة احبال يدلونها من أعالي الاشجار كل ذلك يراه الانكليز وهم أسفون ولكنهم علموا بالتجربة ان استعمال القسوة في مثل هذه الظروف لايجدي نفعاً ولا يبطل شيئاً من هذه العادات المستهجنة بل ربما كانت سبباً في زيادتها وهم يؤملون ان الزمن وحده الذي هو أعظم مربي للانسان يعمل مالا تعمله القوة فيصلح حالهم ويحسن أمالهم

(عبد المسيح حنا)



﴿ هيئة معبد بوذا ﴾

نرجو حضرات المشتركين ان لا يسلموا أحداً شيئاً من الاشتراكات الا من نعلن عنه على غلاف المجلة ونرجو حضرات الافاضل الذين لا وكلاء لنا في بلادهم ان يرسلوا الاشتراك الى الادارة رأساً ولا تعطى جوائز الا للمشتركين الذين سددوا ما عليهم بتمامه

العادة

« تابع ما قبله »

بقلم العلامة الامريكاني الشهير المستر تود (١)

ثالثاً عود نفسك على المواظبة

وأعني بها الثبات في كل أمر متى تأكدت فائدته ووثقت منه وعدم التذبذب والتنقل من أمر لامر ومن مشروع لمشروع كالريشة التي تسقط في مهب الريح فلا تستقر على حال من القلق فان كثيرين من الناس اذا سمعوا أو قرأوا عن رجل تشبس باذيال مشروع فنال منه حظاً وافراً انصبوا على ذلك الامر بهمة فائقة فاذا سمعوا بمشروع آخر بعد حين تركوا الاول ظهرياً واتبعوا الآخر بشوق أعظم معللين النفس ان لذة الهوى في التنقل وان كرام الناس وعظائهم هكذا فعلوا فلا يمضى عليهم ردح من الزمن الا ويتركون المشروعين ويخرجون من بينهم صفر اليدين نتيجة الملل والسآمة وحاجاتهم للثبات دأب كل متزعزع لا يثبت في عمل كقصبة تحركها الريح كيف شاءت وأعرف فتى قرأ عن رجل عظيم كتب على بابه هذه العبارة

Dum Loquam Tempus Eugit

أعني (الوقت منقض على أي حال)

وفي الحال جعل تلك العبارة نصب عينيه وكتبها على بابه و بعد قليل قرأ ان أحد العلماء أعجب ببلاكستون ومؤلفاته فلم يكن منه الا ان ترك العبارة الاولى جانباً واشترى على الفور مؤلفات بلاكستون وأخذ يطالعها بشوق شديد وشغف

(١) معربة بقلم الكاتب الاديب ميخائيل افندي عبد الملك

أشد وحدث بعد ذلك انه سمع ان (أوليفرا ستورت) لم يصل الى ما وصل اليه الا من المحادثة فمع ان العبارة تحتمل النقض والابرام وتفتقر الى اثبات ترك الفتى بلا كستون ومؤلفاته وأخذ يجول من محل لآخر مؤملا الوصول الى النجاح من سماع أحاديث الناس وأقوالهم ويحزننا كثيراً أن نقول ان كل مدرسة كان طلبتها من هذا القبيل فليس بها طالب حقيقي

وقال (ورت) ان الرجل الذى يتردد امام عملين أيهما يعمل أوّلاً فليس بفاعل احدهما والرجل الذي يعزم على تتميم عمل ويحتمل ان يغيره عند مقابلة اول صديق والذي يتذبذب من رأي الى رأي ومن مشروع الى مشروع مثل الابرة المغنطيسية التي لا تستقر على حال بل تدور كلما هبت عليها الريح فليس بمتمم عملا عظيما أو أمرا مفيدا فلا يصل الى الدرجات الرفيعة ولا الرتب الخطيرة بل ولوأحرز شيئاً من الرفعة فلا بد ان تنحط درجته يوماً وانما رجل الدنيا وواحدها هو ذلك المتصف بالصفات التي قالها ليوكان لقيصر في اربع كلمات

Nescia-Virtus-Stare-Locs,

اي الفضيلة تليق بكل مكان

اعني هو ذلك الرجل الذي اذا فكر في مشروع استشار العقلاء وعزم عزم الابطال ونفذ قصده بثبات لا تزعزعه الجبال فلا تخور عزائمه ولا تثبط همته عند مصادفة الصعوبات القليلة شأن الرجل الضعيف الروح

اذا كنت ذا عزم فكن ذا مروءة　　فان فساد العزم ان تترددا

ومثل ذلك مثل تلميذ بدأ بمطالعته اللغات الميتة وما كاد ان يتمم اليسير من مطالعته حتى وفد عليه صديق فأخبره انه مضيع وقته سدى ولو احسن لطالع الافكار الجديدة التي تروض العقل وتهذب النفس فعملا بنصيحة ناصحه يدع ما

عقد النية عليه ويغير مشروعه ويبدأ بمطالعته الرياضيات ولا يكاد يبدأ في عمله حتى يأتيه صديق آخر فيسأله بسكون متى عزم ان يكون استاذا في الرياضيات لانه ان لم يكن فاعلا فقد اساء استعمال وقته وضيعه هباء منثورا لان الزمن لا يحتم على الانسان التبحر في الرياضيات والتوسع فيها ولو عقل لكفاه منها مصة الوشل فلا يلبث ان يلقي بكتبه ويضرب بها عرض الحائط ويجهد النفس في مطالعة شيء آخر لا ينفك حتى يتركه عملا بنصيحة الناصحين فتنقضي الحياة من مشروع لآخر ومن فكر لغيره فلا يمكنك الا الحكم بجنون الناهجين مثل هذا المنهج ورداءة النتيجة فتوطيد النفس اذن على الثبات في فكر واحد كاف ان يبيض مسعى صاحبه ويقرنه بالفوز والنجاح فلو دبرت امرك ونفذته بثبات متين ذلت لك العلوم والمعارف وخضع لك رضوى وتربعت في دست الامارة مليكاً جليلاً بين ترى اقرانك والذين حولك مازالوا يتنقلون من مشروع لمشروع ومن فكر لآخر فاجعل نصب عينيك هاتين الكلمتين

Perseverance Vinces

اعني المواظبة تغلب فتدرك سر التقدم والفخر الذي تقودك اليه المواظبة ·
(انتهى كلام المستر ورت)

ومن اعظم الاشياء خطراً واشدها ضررا اتلاف المشروعات مع توفر شروط الحسن والفائدة فيها بتأجيل ما تقدر على تتميمه اليوم لغد فاذا وردلي خطاب من صديق اجلت كتابة رده لغد واذا استدعاني صديق لامر قلت سأتوجه غدا واذا مرت بي ملاحظة مهمة او عبارة مفيدة قلت سأقيدها في دفتري غدا فلا ينفك ان يضيع الغد فيسلم المرء نفسه الى الغرور والاهمال الذي هو عنوان التلف ومقدمة الوبال لانك مكلف تكليفاً ادبياً ان تملأ فراغ اوقاتك بكل مفيد فلا تمر ساعة

من ساعاتك الا وقد جئت في خلالها بعمل نافع ولم تضع منها دقيقة واحدة سدي ودع عنك المتمثلين بالمثل الميت القائل اي (ازف الوقت) **Hora ruit**

فان اليوم الذي ينقضي وقد عملت فيه أعمالك بقصد سابق خير من أسبوع ينقضي بلا غرض معلوم أو قصد سابق ولو تتبعت آثاراولئك الرجال العظام لاخذك العجب من ثباتهم في مشروعاتهم ثباتًا رفعهم الى أقصى درجات المجد وأعلى ذرى التقدم والفخار — ذكروا ان شارل السابع كان من عادته ان يركب حصانه زهاء الاربع وعشرين ساعة فزاركل ممالكه راكبًا حتى مل معظم حراسه ورجال حاشيته فصار يقطع تلك المسافات وحده ففي احدى تلك الاسفار الشاقة سقط حصانه لكثرة ما تولاه من التعب والجري فلم يبد الملك شيئًا من أمارات الغضب أو الحزن بل ترجل توا وخلع عدة الحصان بيده واستمرّ سائراً وهو حامل سلاحه وعدته على كتفه حتى وصل أول خان صادفه فوجد في اسطبل الخان حصانًا أعجبه وراق في عينيه وفي الحال أسرجه بيده وفي تلك الاثناء حضر صاحب الحصان فكاد ان يقضي عليه عجبًا مما رأى ومن ثم قبض على الملك وهو لا يعرفه ليقيم عليه الحجة في سرقة حصانه فاخبره الملك انه لم يفعل تلك الفعلة الا لشدة تعبه من حمل العدة على ظهره فلم يقتنع الرجل بما سمع وافضت بهما المكالمة الى تجريد السيوف وكادا ان يقعا في لجة المعركة (والفرق بينهما في الوجاهة عظيم) لو لم يدركهما الحراس وفي الحال أمروا الرجل ان يغمد سيفه الذي رفعه على الملك بنفسه وهذه العبارة القصيرة تدلك على مقدار ما اتصف به اولئك الرجال من العزم وقوة المواظبة فلا غرابة اذا قامت المواظبة بصاحبها فجعلته أميراً والبسته حريراً

رابعًا — عود نفسك على المحافظة على الوقت

وليس من رجل في العالم كله الا ومن اهم المفروضات عليه ان يكون محافظًا

على وقته ومع ماذكر فالمحافظون على اوقاتهم حق المحافظة قليل ما هم وسهل عليك ان(١) تصل الى قاعة الدرس او محل عملك متأخراً وبالنتيجة سهل عليك ان تكون متأخرا في كل شيء وبالعكس مع انك لو اجلت النظر وعقلت قليلا لرأيت التشبث باذيال هذه العادة امرا لا يثمن بمال ولا يقاس بحال من حيث النفع والفائدة لنفسك وللعالم بأسره والرجل الدقيق في المحافظة على وقته يعمل ضعف ما يعمل الآخرون بسهولة وارتياح لا يقدر — والمرحوم اللورد بروغام قاضي انكلترا لما القيت اليه ازمة الاحكام ووضعت المملكة على كتفيه اوزارها وتولى رئاسة مجلسي اللوردات والقضاء فكان من اعماله ان يسمع يومياً قضاء المتقاضين ووجد وقتاً لتحرير مجلات كثيرة وصار رئيساً لاكثر من عشر جمعيات افادت البلاد فوائد عظمى بالمطبوعات الكثيرة وامتاز بالمحافظة على وقته امتيازا عجيبا فكنت تراه عند عقد كل اجتماع لاتكاد تدنو الساعة المعينة الا وهو جالس في محله على كرسيه

ولما كان الكسل مما بلي به الانسان طبيعة وعادة ترى الناس يجدون اعظم لذة حين تجمعهم الصدف برجل شديد المحافظة على وقته فيميلون اليه ميلا عظيما ويودون لو اشتروا منه تلك السلطة بأي ثمن شاء لوكانت مما يشترى بالدرهم او يباع بالدينار لان المحافظة على الوقت دليل في الرجل على انه قائد لنفسه محارب لطباعه

وقد يتخوف بعض الذين لاعقول لهم من ارتضاع ثدي هذه العادة قولاً منهم انها مما يضعف العقل ويقيد الفكر ويقلل من رغبة الرجل في الطموح الى المجد ويلتفتون الى رجل من كبار الناس مدعين انه لم يكن محافظاً على وقته او انه لم يحافظ على وقته الا لتجرده من حسن الخلال لكي تستر هذه على تلك بيد انه لوكان

(١) افرد صاحب الكتاب مقالة خاصة للكلام على الوقت سنأتي عليها ان شاء الله وانما نوفي ذكره هنا بنوع الاجمال

على شيء من الخلال المفيدة او العادات الممدوحة لما وضع كل همه في المحافظة على وقته مع انك لو ارسلت رائد التأمل الى كبار الناس لرأيت فضائلهم حجة على اولئك المدعين فبلاكستون مثلا لم يكن ضعيف العقل ولم يكن مجردا من الطباع السامية مطلقا فقد كان حتى في اثناء اشتغاله بمؤلفاته العظيمة لا يدع راجيه ينتظر دقيقة مع ما هو مشهور عنه من لطف الخلال ومحاسن الاخلاق التي طبقت شهرتها السبع الطباق

ونذكر هنا تشحيذا للاذهان وبهجة للافئدة هذه العبارة التي كتبها المستر برويرالذي صار بعد ذلك من مشاهير الوزراء وكبار السياسيين قال — انه كان في ايام تلمذته شديد المحافظة على وقته فكان يحضر الى منزل معلمه لتلقي الدروس حيث يجتمع التلامذة من جهات مختلفة في نفس الساعة المعينة فحدث ذات يوم ان دقت الساعة السابعة فنهض التلامذة جميعاً للصلاة حسب عادة المدرسة ونظر الاستاذ فلم يجد المستر بروير بينهم فتوقف عن الصلاة و بعد بضع دقائق وصل المستر بروير فخاطبه الاستاذ قائلا يامستر بروير لقد وقفت ساعتي بالامس وضبطتها على ساعة احد التلامذة ولما دقت الآن السابعة واجتمعنا هممت بالصلاة ولما لم اجدك توقفت لعلمي ان الساعة طبعاً اسرعت في السير وحيث قد حضرت الآن فقد حان اذن وقت الصلاة — وحقيقة فان الساعة كانت مسرعة بضع دقائق....

واعلم انه ليس من الفضائل في شيء ان نقدم الاعذار الكثيرة والحجج الطويلة سترا لعيوبنا ونقصنا في عدم المحافظة على الوقت وكثيرون يسقطون في هذه الوهدة وحوادث الايام تساعدهم كثيرا فيقول الواحد منا لقد تأخرت ولكن لا بأس بهذه الدفعة وانا لم ابادر في تتميم الواجب اليوم ولكن هذه الدفعة فقط وما شاكل ذلك مما يسوغ ان يسمى لغة التأخير . وانا نفسي سافرت عشرين ميلا وصرفت المصاريف الطائلة وقضيت اسابيع طويلة في الشغل المتواصل واضعت

خمس دقائق فراح كل عملي هباء منثورا

فكن محافظاً على وقتك في كل شيء اعظم محافظة فاذا قصدت ان تعمل شيئاً قبل الفطور مثلا كن واثقاً كل الثقة انك ستفعله في نفس الدقيقة واذا دعيت الى الحضور في حفلة او جمعية فكن هناك في نفس الدقيقة المقررة ومن ضروب المحافظة على الوقت ان تبدأ بالاهم قبل المهم وتنظر الى الواجب قبل ما تود اتيانه رغبة منك فلو فرضنا انك ترغب كتابة خطاب لصديق لك وحتم عليك ان تخطب هذا المساء او تسمع درساً هذه الليلة فمن الصواب ان تبدأ بمطالعة الدرس او الاستعداد للخطابة قبل كتابة الخطاب لان الاول فرض عليك والثاني جئته رغبة منك وهذا ليس فقط خوفاً من عدم الاستعداد بل قياماً بما فرض عليك وخيفة حضورك الى قاعة الجمعية او المدرسة الليلية متأخراً فتكون من ثم رجلا غير محافظ على وقتك وهذه العادة طالما سقط الكثيرون في شركها فعدوا لا محافظين على اوقاتهم ولا متممين لواجباتهم (البقيه تأتي)

الفونس الثالث عشر

ملك اسبانيا ووالدته

(تابع ما قبله)

**

اما جلالة الملك الفونس الثالث عشر فهو فتى ولد في ١٧ مايو سنة ١٨٨٦ فهو قد دخل في السابعة عشر من عمره من بضعة ايام وهو نحيف البنيه لطيف الهيئة رشيق القامة ذو عينين مائل لونهما الى السواد تلوح عليهما ادلة الذكاء وسرعة الخاطر وتوقد الذهن ومضاء العزيمة وشعره اشقر محعد تجعدا طبيعياً تلوح على وجهه سيماء الرزانة والتصلب في الرأي في آن واحد وملبسه في العادة قلنسوة البحارة



﴿ غبطة السيد الجليل ﴾

« كيرلس الثامن »

بطريرك الروم الكاثوليك الذي انتخب راعياً لهذه الطائفة في الشهر الماضي

وجلابية ذات ياقة زرقاء ويلبس في الحفلات الرسمية القليلة التي يحضرها لباس المشاة حاملا على جنبه سيفاً صغيراً يقرب ان يكون لعبه وهو يحمل وسام التوازون دور (العقد الذهبي) معلقاً في رقبته بشريط من الحرير الاحمر

وقد جذب الفونس الثالث عشر منذ صغره كل المقربين اليه بلطفه الغريب وهو يتفانى في ارضاء والدته ويخاف ان يسخطها وقد جعله ذلك ان يبتعد عن كثير من اهوائه الصبيانية وان يقلع عن كل خلق ذميم يحكي عنه انه رفض الاستحمام ذات يوم حين استيقاظه فاتت اليه والدته الملكة وهددته انه اذا لم يفعل بكت فما كان منه الا ان اقلع عن تصلبه وأسرع الى الحمام

ومحبته لهذه الوالدة غريبة ومؤثرة جدا فكم من مرة طوقها بذراعيه وقال لها : « اني احبك اكثر من كل من سواك »

وقد تربى هذا الملك على التواضع العظيم ولكنه مع ذلك يرى من صغره أنه ملك وان على الشعب واجبات كبرى له وانه أرقى من الجميع فكان وهو في الرابعة من عمره اذا اشارت عليه مربيته السنيورة تاكون بأمر لا يعجبه يقول لها (انا الملك)

ويروى انه لما كان في الثامنة من عمره خاطبه احد كبار موظفي البلاط بكلمة بيبي (ولد صغير) وهي لفظة التحبب التي تخاطبه بها والدته الملكة فاجابه بسرعة وعليه لوائح الغضب والغيظ : « اني بيبي عند والدتي واما لك فأنا الملك »

وفي سنة ١٨٩١ ابتدأ الفونس ان يتعلم القراءة فدخل في دور غير الذي كان فيه وانتقل الى حياة جديدة وهو يزيد اجتهاداً كل يوم ويتقدم نشاطاً وعلماً بتقدم الايام واستقالت مربيته بعد ان خدمت في البلاط مدة ثلاثين سنة خدمة صادقة

⁂

وقد تربى الفونس الثالث عشر الذي قبل قداسة البابا ان يكون عراباً له على التدين والتقوى فهو يصلي لله كل صباح من كل قلبه بورع حقيقي وذلك لان والدته

اجتهدت ان تجعله يشب مؤمناً منذ صغره ثم يبتدئ في دروسه الساعة التاسعة ويتعلم اللغتين الفرنساوية والانكليزية بالمناوبة فيدرس كل يوم لغة • وفي الساعة العاشرة يذهب الى محل الخيول حيث يهتم بتعليمه ركوبها الدون انتونيو بليدو وقد أصبح الملك بهمة هذا الاستاذ الماهر من احسن الفرسان ولا يركب جلالته حصاناً واحدا فان عنده لاسطبله الخاص سبعة من جياد الكرائم

وبدلاً من ان يتعلم الركوب في نفس محل الخيول يخرج غالباً مع والدته راكباً جوادا يتنزه في حديقة الكازا دي كامبو وكثيرا ما رآهما الشعب راجعين على جواديهما عدوا

وفي الساعة الحادية عشرة تنتهي هذه النزهة فيذهب لأخذ دروس الطبيعة والكيمياء أو الجغرافية الحربية على استاذيه الكولونل دون جيان بورجيا والقومندان دون ميجل جونز الزدي كاستجون وتحت مراقبة الجنرالين سانتز واجير دي تيجادا

وفي الظهر تماماً يذهب الملك لتناول طعام الافطار على مائدة خصوصية بالقرب من التي تأكل عليها والدته وعمته وحاشيتهما

وبعد الاكل يقضي ساعة مستريحاً ثم يرجع لاشغاله فيقضي بعض الوقت للتمرن على التكلم باللغة الالمانية ثم يأتي بعد ذلك درسا البيان والتاريخ الطبيعي

ويتعلم الملك التمرينات الحربية ثلاثة مرات في الاسبوع سواء كان ذلك في احدى صالات القصر أو في ميدان (مارس) (اله الحرب) اذا كان الطقس جميلاً وقد تألف منه ومن بعض رفاقه ابناء كبار الموظفين ونبلاء مدريد بلوك صغير يقوده ضابط من ضباط البيادة وهو مسلح من بنادق موزر من احسن طرز وقد أظهر هؤلاءِ الاطفال رغماً عن صغر سنهم براعة كبيرة في معرفة كيفية استعمال السلاح والملك في مقدمتهم اطاعة لمعلميه

ولكن مهما اشتغل الفونس الثالث عشر في يومه الملآن بالاعمال الكثيرة فانه يتفرغ أخيرا لوالدته التي يحبها حباً مفرطاً فيخرج معها في الفيتون الذي تقوده هي بنفسها أو في اللاندو الملوكي الذي تجرّه أربعة من جياد البغال وعليها أحسن

الاطقمة البهية

وفي الساعة السابعة مساء يذهب الملك اتناول طعـام العشاء مصحوباً بأختيه وبأستاذه الذي يكون عليه دور الوجود في القصر وبأحد مربييه وبالكونتس ميراسول المربية الثانية للاميرات وبالمعلمة الالمانية

وفي الساعة الثامنة ونصف بعـد ان يقضى بعض التمرينات الرياضية يضرب الموسيقى وبعد ذلك بساعة على الاكثر يذهب الى سريره للنوم بعد ان يختم يومه بالصلاة كما افتتحه .

هذه هي التربية الحسنة التي يتربى عليها الفونس الثالث عشر حتى يكون أهلاً للمنصب الخطير المعد له

⁂

ولكن مع كون تربية الملك الفونس الثالث عشر حسنة تؤهله للمنصب الخطير فيوجد غلط فاحش ترتكبه الملكة الوصية وهي انها لا تجعـله يقترب من شعبه ويختلط به فهو غريب عن الشعب مع ان في ذلك ضرر بليغ له وابعاد للقلوب التي كان يمكن ان تجذبها اليه رقة اخلاقه وضعف طفوليته

وهو في نفس مدريد لا يخرج الا بأبهة وزينة ولا يذهب لحضور مصارعة الثيران التي تخاف منها والدته ولكنه يذهب كل سنة بحفلة شائقة لافتتاح جلسة الجمعية العمومية

ولكن لا يلزمنـا ان ننزل باللوم والسخط على المقربين الذين يوحون الى الملكة بهذه الخطة فان صحـة الفونس الثالث عشر محتاجة للمداراة والمراعاة وقد كادت الانفلونزا تودي بحياته في سنة ١٨٨٧ : ومن جهـة أخرى فان عادات البلاط لا تسمح له بحضور الحفلات ما دام لم يبلغ سن الرشد

ويمكن بكل سهولة احصاء الحفلات التي رأى فيها الشعب الاسباني ملكه فأولها حفلة عماده التي اقيمت بعد ميلاده بخمسة أيام في كنيسة القصر وقام بصلاة القداس مطران طيطله (توليده) رئيس اساقفة اسبانيا ومعه كثير من الكهنة وكان المنادون في ذلك اليوم مرتدين بالملابس التاريخية من عهد فيليب الثاني • ولبس الفونس التاج لأول مرة في ٢٠ مايو سنة ١٨٨٨ حين ذهابه في افتتاح المعرض في برشلونه وكان محمولاً بين ذراعي مرضعته رايموندا ولابساً لباساً ناصع البياض كلباس الملائكة وكان قد رافق والدته قبل ذلك ببضعة أشهر حين افتتاح مجلس البرلمان ومن ذلك الحين لم يكن يقصر في مرافقتها في مثل تلك الحفلة

وفي كل سنة في يوم عيد ميلاده يحضر السفراء وقناصل الدول وعظماء الامة وكبار موظفي الحكومة لتقديم التهاني والتعظيم الواجب لشخصه فيحضر الملك لاستقبالهم في الصالة المعروفة بصالة التتويج بموكب حافل عظيم ويجلس مع والدته في صدر المجلس على منبر مقام على أربع قوائم تعلوه مظلة حولها اربعة أسد مذهبة وأرجل تلك الأسد على الكرة الارضية ثم يبتدئ دخول الناس ويدوم ذلك نحو ساعة •

وأما الحفلات الاخرى فان الفونس لا يحضرها بالمرة لأن والدته الملكة لا تميل الى الالعاب والتمثيل ومن جهة أخرى فان ترملها والمصائب التي حلت باسبانيا في هذه السنين الاخيرة اوقفت الاحتفالات الكبرى تقريباً لولا بعض الحفلات الدينية الكبرى التي حفظت رونقها السابق وذلك لشدة تعلق اسبانيا بالدين

وبقي قبل الختام سؤال يطرحه كل على نفسه وينتظر الجواب • وهو كيف ان امرأة مثل ماري كريستينا امكنها ان تحفظ سلطة ابنها في وسط شعب مثل الشعب الاسباني اشتهر بالميل للقلاقل والنزوع الى الثورة وتقلب عليه في المئة سنة

الاخيرة أنواع عديدة من الحكومات المتباينة المشارب والغايات من الحكم المطلق الى الحكم الجمهوري .

ان هذه المملكة لم تتوفق الى عمل يكون فيه سعادة البلاد بحيث تجتذب به قلوب رعاياها فيتأيد مركز ابنها و يصبح أمنع من عقاب الجو وجبهة الاسد بل بالعكس فانه في مدة وصايتها قضت اسبانيا سنيناً طويلة تحارب الكو بين الثائرين وانتهى الامر باشتباكها مع الولايات المتحدة في تلك الحرب المشؤومة التي كانت عاقبتها انها فقدت ما بقي لها من المستعمرات وتخلت صاغرة عن كو با و بورتوريكو والفيلبين وانحط نفوذها في الخارج انحطاطاً عظيماً ووجدت فرص عديدة لتسهل الثورة فما للشعب الاسباني لم ينتهز تلك الفرص و يقوم للثورة ؟

هذا هو السؤال الذي يسأله كل واحد لنفسه . ولكن الجواب عليه سهل على كل من اطلع على اخلاق الشعب الاسباني . فان هذا الشعب انوف ذو شهامة وكبرياء واعتداد بالنفس لا يعمد الى الحيلة او الخدعة ولا يأخذ عدوه على غرة منه بل يود ان ينازله وجهاً لوجه ولذلك فهو يستنكف ان يقاوم امرأة وطفلاً

وزد على ذلك ان قداسة البابا وهو عراب الملك الطفل والمعجب بالملكة ماري كريستينا كل الاعجاب يستعمل ماله من السلطة على العقول في تأييد سلطة الملك الفونس

ولكن هل ان ذلك يطمن الافكار ويجعل مركز الملكة في مأمن من الاخطار ؟ وهل كون الشعب الاسباني ثاب الى السكينة الى اجل مسمى يجعل مركز الفونس الثالث عشر غير قابل للمقاومة والاقتحام ؟ ان الحوادث التي تجرى مثل توقف بعض نبهاء الامة ومتنوري الشعب عن دفع الاموال الاميرية يدل دلالة واضحة على ان الخطر لم يزل تماماً وعلى ان تحت الرماد وميض نار

على ان اسبانيا محتاجة للراحة والسكينة تلك الامة التي يجب ان لا تموت بل يجب ان تبقى حية كأثر تاريخي جليل هي محتاجة ان تبتعد عن الاضطرابات والقلاقل حتى تكبر ثروتها وعمارها في الداخل وتسترجع بعض نفوذها واعتبارها في الخارج

ان اصلاح الامة الاسبانية يحتاج الى زمن كبير يكون فيه السلام ضارباً اطنابه والناس مجتهدون مجدون دون قلاقل وثورات . ذلك انه يجب احياء القوى الاقتصادية والصناعية والحربية و بعثها من العدم . وما ذا يكون يا ترى دور الفونس الثالث عشر الذي فتح له العالم سفراً جديداً من اسفار الحياة منذ بعض أيام في هذا الاصلاح الذي نرجو ان يتم ؟

ذلك سر غامض في طي المستقبل ستكشفه الايام والحوادث المقبلة وعلى كل حال فاننا نتمنى ان الفونس يأتي بصفحة بيضاء جديدة في تاريخ اسبانيا و يبتعد عن تلك الصفحة السوداء التي نقشت لهذه الامة في القرن الاخير والفونس الثالث عشر جدير بأن يعمل ذلك العمل فانه تربى تربية حسنة ووالدته الفاضلة لم تدخر وسعاً في سبيل اعداده لعمله العظيم . لم تدخر وسعاً في تربيته حتى يمكنه ان يسير في وسط الاشواك والعقبات المتراكمة في طريقه و ينتصر عليها دون ان يجرح أو يصاب بأدنى ألم ولا شك ان التاريخ سيحفظ لها في طي سطوره شكرا عاطرا يسطره بمداد الذهب ولا ينسى تلك الخدمة الجليلة التي قامت بها نحو الامة الاسبانية

اسيوط في ٢٥ مايو سنة ١٩٠٢ — حبيب حنين .



القسم العلمي

﴿ ضفدعة في معدة ﴾ ربما لا يستغرب القراء هـذا العنوان لانهم قرأوا في بعض الكتب والرسائل التي دونت فيها أخلاق الامم وعاداتهم ما يفيد ان الفرنسويين يتخذون من الضفدع طعاماً يستلذونه وان الامريكيين ينفقون في شراء هذا الحيوان المال الكثير ولكنهم متى علموا ان الضفدعة المقصودة من هذا العنوان وجدت حية في معدة فلاح يدعى بلاز به وجب استغرابهم . وبيان الحادثة ان هذا الرجل رأى جسمه منذ زمن آخذاً في النحول والضعف وان قواه انحلت ولم يعد له أمل في النجاة من الموت ومع ذلك فقد كان يأكل أكثر من أكله في أيام صحته ويشعر بشيء يتحرك ذهاباً واياباً في معدته فاستحضر طبيباً قرر بعد الفحص وجوب اجراء عملية جراحية فشق معدته فوجد فيها ضفدعة كبيرة الحجم لو رآها أمريكي لهان عليه بذل الدنانير لاقتنائها . أما المريض فقد شفي من مرضه وعادت اليه قواه وصار يأكل المقدار الطبيعي من الطعام وقد حفظ الضفدعة التي أضافها طويلا « في بيت الداء » حيث وضعها في اناء مملوء بالكحول ليعرضها على من يستغرب أمره .

﴿ غش المأكولات ﴾ لاحظ المسيو « موتون » من محرري جريدة « الماتن » الباريسية ان اللبن الذي يباع في باريس لايخلو من الغش فتتبع باعة اللبن واشترى منهم جزءا وفحصه في المعمل الكيماوي فتحقق له صدق حدسه فكتب رسالة في جريدة « الماتن » أزاح فيها الستار عن غش اللبن وطلب من القراء أن يتدبروا في الامر وأن يتبصروا فيه ، وما زال يقتفي آثار الباعة ويكتب كل ما يراه حتى

اضطر رجال الشرطة الى الاخذ بناصره والى الانتباه الى الامر ولما شاع الخبر وذاع قامت جريدة « الماتن » وهي من أشهر جرائد باريس واكثرها انتشارا وطالبت من قرّائها ان ينضموا اليها وان يجيبوا نداءها في تأسيس جمعية تسمى « جمعية المحافظة علي الحياة البشرية » تكون وظيفتها المحافظة على حياة أهل باريس والفحص في كل ما يشترونه من المأكولات وتتعهد هذه الجمعية مقابل جعل لا يزيد عن الثلاث فرنكات يدفعه كل مشترك بأن تفحص كل ما يقدم لها من المأكولات فحصاً كيماوياً واذا رأته غير موافق اقامت القضيـــة اللازمة على الباعة وطالبتهم بالتعويضات اللازمة . وتتعهد الجمعية بدفع التعويضات الي اربابها عند الحصول عليها بدون حجز شيء منها . وقد لبى دعوة الجريدة كثير من علية القوم وكبرائهم ومن ضمنهم كثير من الاطباء الذين تعهدوا بفحص المأكولات مجانا وكثير من المحامين الذين أخذوا على عهدتهم ان يقوموا بالمرافعات بلا مقابل

القسم الفكاهي

﴿ ما أصعب الدين (١) ﴾

— أجبني يا جناب الدكتور هل تنذر حالتي بالخطر

أما الطبيب فسكت برهة وهزّ رأسه كأنه يتردد في الاجابة وقال بلهجة منقطعة ليس احد الاعضاء المهمة مصابًا بما يجعلنا نتخوف من سوء العاقبة قال المريض نعم ولكن صحتي على وجه العموم ليست على ما يرام اليس الامر كذلك فلا تعللني

(١) معربة بقلم حضرة الاديب خليل افندي مقصود بالاسكندرية

بآمال هي في الحقيقة اضغاث احلام اني اشعر بأني على وشك الموت فان كنت تعتقد ان ايامي صارت معدودة فلا تخفي عني ذلك لاتدبر فيما يجب عليّ ان افعله

قال الطبيب اني انصحك ان ترتب اعمالك كما تريد منذ الآن وليس في هذا فال سوء

قال اشكرك ياحضرة الطبيب على صدقك واخلاصك واستودعك الله لان لا امل لي في لقائك مرة اخرى . فهزّ الطبيب كتفيه وقال كلمة تشجيع للمريض وخرج مهرولا وهو متأكد بأن هذه آخر مرة يصافح فيها المسيو لوران

وعلى أثر ذلك استجمع المريض قواه ودق جرساً كان بجانبه ففي الحال فتح الباب وظهرت فتاة في ريعان الشباب تلوح على محياها الجميل مخايل الشفقة واللطف وريثما وقع نظرها على المريض دنت منه بلطف وقالت — اتدعوني أيها الخال العزيز

فاجابها بصوت ضعيف نعم لي كلام أريد ان القيه عليك ياعزيزتي. فاغلقي الباب وتعالي اجلسي بجانبي حتى لا ارفع صوتي فيعتريني التعب ففعلت الفتاة كاشارته ولما استقر بها المقام التفت اليها المسيو لوران وقال بحزن :

— ان الذي يكلمك الآن يخطو الى عالم الابدية

فانزعجت الفتاة وذعرت لدى سماعها هذه الكلمة

اما هو فتنهد تنهيداً عميقاً وعاد فقال بصوت ثابت جمع فيه كل قواه المتخاذلة المشتتة

— نعم يجب ان ابوح لك بهذا حتى تدركي خطارة الامر الذي سأطلبه منك الآن فأموت مرتاح البال

فمسحت الفتاة دموعها وقالت بلهجة تخنقها العبرات :

تكلم أيها الخال العزيز فأنا أطوع اليك من ظلك

فأخذ لوران بيدها وقال هذا ما كنت انتظره من طيب قلبك وشريف

احساسك فان قلبك السليم لا ينكر الدين الملقي على عاتقك وعندئذ تقطب حاجبا الفتاة وظهرت عليها علامة ارتباك لم يلتفت اليها المريض واستطرد الحديث فقال :

— لا بد انك فطنت ان الذي أطلبه منك الآن لا يتعلق الا بابنتي العزيزة فان قلبي ينقطع تحسراً كما افتكرت ان الموت الجبار سيفصلني عنها ويحول بيني وبينها وهي صغيرة تحتاج الى من يعولها وليس من يقوم مقامي في الاعتناء بأمرها ولولاك لما وجدت ابنتي برتا مساعدا سوى القيم الذي لا يهمه من أمرها الا تدبير شؤونها المالية وهذا لا يفي بالغرض ولكنني أحمد الله الف مرة حيث ارسلك اليّ لتكوني ملاكها الحارس

كانت ماري تصغى الى هذا الكلام المؤثر وتتنفس الصعداء ثم اجابت بحزن واسفاه وماذا عساه ينتظر مني وانا ضعيفة صغيرة السن

— لقد بلغت الآن ياماري سن العشرين و برتا لا تتجاوز نصف هذا العمر وفي ذلك الفرق في السن ما يكفي لان يجعلك قادرة على ان تقومي مقامي ولا سيما وانت كما اعهد على جانب عظيم من الرزانة والتعقل والقانون يعتبرك رشيدة ويخولك حق الوصاية على القاصرة كما سأذكر ذلك في وصيتي

اجابت اذا كان الامر يقتصر على ما ذكرت فانا طوع امرك فكن في راحة بال من هذا القبيل

على ان المريض المسكين لم يقنع بهذا الجواب بل الحّ في الطلب وقال اذا اردت ان اموت مستريح البال ياماري فعديني وعداً صادقاً بانك تهبي نفسك كلها وتخصصي ذاتك للقيام بالواجب الذي القيه على عاتقك فكررت الفتاة وهي مدهوشة هذه الكلمات (اني اتعهد امامك وامام الله بكل هذا)

فنظر لوران اليها واحدق بها متأملا كأنه يريد ان يستطلع خفايا سرها وهو يقول

ان الواجب الذي اطلبه منك ياماري ليس هو صغير في حد ذاته ولذا قلت لك انه يجب ان تخصصي له ذاتك وتضحي من اجله نفسك واني ازيدك به الان علما وتعريفًا وهو ان تسهري على برتا ولا تكوني مشغولة عنها بأمر آخر ولا تفتكري في مستقبلك وزواجك الا متى ثبت نصيب برتا وتحقق مستقبلها فهل فهمت الآن ما اقول

عندئذ اصفر وجه الفتاة وارتجف صوتها وكانت تحاول عبثًا ان تخفي تأثرها وانفعالها جهد استطاعتها ولكنها تمالكت نفسها واجابت بهدو على قدر امكانها :

ـ يخال لي ايها الخال العزيز انك توسعت كثيرا في التعبير عن وعد بسيط فانا اتعهد باني اقوم بخدمة ابنتك كما فعلت بي ولا يمنعني الزواج عن القيام بهذا الواجب لاني لا انتخب بالطبع الا زوجًا شريفًا برا رؤوفًا يساعدني على تحقيق امنيتك

فاستشاط لوران غيظًا وقاطع الفتاة قائلا :

انت لا تدركين معني كلامك انك اذا تزوجت وجهت عنايتك الى زوجك اولا ثم الى اولادك ثانيًا وتصبح ابنتي عقبة في سبيل راحتك وحجر عثرة امامك فلا يمضي قليل زمن حتى تضجرين من وجودها في منزلك فتكرهينها وتنغصين عيشها كلا! كلا! اني لا اريد ان اسمع هذا الكلام

اجابت الفتاة ــ هدىء روعك ياسيدي ولا تدع اليأس يستولى على فؤادك

فسكن المريض جأشه قليلا واخذ يتلطف معها ويتزلف اليها و يتذلل لها و يقول بحنو والدي الا يمكنك يا ابنتي ان تصبري قليلا ــ عشرة سنين فقط ليس هذا الامر عليك بعسير وعندئذ تكون ابنتي برتا بلغت سن العشرين فيمكنها ان تدبر شؤونها وحدها

قالت نعم وانا اكون وقتئذ في سن الثلاثين

قال يا عزيزتي ان المرأة في هذا السن تكون قد بلغت ذروة الجمال والكمال

اتجرأي ياماري ان تحولي دون مرامي وانا على باب قبري كلا انك لست قاسية بهذا المقدار انت مديونة لي بتربيتك وحياتك وهو دين مقدس يجب ان توفيه لي فهل تفهمين ما أقول الآن

قال المريض ذلك وهو في أشد حالات الضعف والمرض والعرق البارد يتصبب على جبينه أما ماري فاحنت رأسها الى الارض وقد كان التأثر فيها بلغ منتهاه خصوصاً عند ما سمعت من لوران هذه الكلمات الاخيرة ثم رفعت رأسها وقالت بسكينة :

كن في سلام أيها الخال فاني سأفعل كلما أمرتني به

حينئذ جذبها المريض اليه وضمها الى صدره وقبلها بحنو وهو لا يجسر على الكلام واتكأ بعدئذ المسيو لوران وعلامات الارتياح والاطمئنان بادية على وجهه وخرجت ماري لتخفي عن خالها مالحقها من الانفعال الشديد بعد هذا الحديث المؤلم

* * *

ــ اتأذني لي ياعزيزتي ان العب في الحديقة بعد ان حفظت امثولتي

ــ نعم ياعزيزتي افعلي ماتريدين

ثم قبلت ماري جبين اليتيمة (برتا) وكان والدها لوران قد توفي بعد بضعة أيام . فركضت برتا الى الحديقة وشعرها الذهبي الجميل يتماوج في الهواء وماري جالسة في غرفة على مقربة منها تنظر اليهـا من نافذة تطل على البستان وكانت تغبط هذه الطفلة على ما هي عليه من الهناء وخلو البال وبعد برهة دخل الخادم وقدم الى سيدته بطاقة زائر يريد مقابلتها وما كادت تنظر اليها ويقع نظرها على اسم (فيليب دي ريناك) مسطراً عليها حتى ارتجفت واصفر لونها . أما الخادم فقال ان السيد جالس في القاعة المجاورة

قالت دعه ينتظرني قليلا . ولما خرج الخادم عادت ماري الى صوابها وأخذت

تستجمع قواها لانه قد حان وقت وفائها بدينها العظيم والتصريح لمالك فؤادها بأنها ستعدل عن الزواج لاجل بعيد ويالها من ساعة هول عظيم وموقف حرج ترتعد له الفرائص وتخفق له القلوب . وقد آن لنا ان نعرف القارئ الكريم بحقيقة هذه الفتاة قبل ان تدخل لمقابلة حبيبها (فيليب) . فقد كان والدها أحد كبار الماليين مشهور في المضاربة بالبورصة فخسر كل ماله فمات بسبب ذلك من شدة الحزن والكمد واصبحت ابنته ماري التي نحن بصددها وحيدة فريدة لاملجأ لها سوى مأوى اليتامى الا ان بعض الاقارب لم يرزقهم الله اولادا فاتخذوها كابنة لهم وهم عائلة المسيو لوران ولكن لم تمض مدة حتى ولد المسيو لوران ابنة توفت أمها بعد ولادتها وهي برتا فاصبحت الفتاة ماري بمنزلة الام لبرتا الصغيرة وقد قامت بخدمتها فوق ما يجب عليها وضحت شبابها من أجلها ورفضت الزواج مراراً بمن تقدم لها لتتفرغ للاعتناء بهذه الرضيعة ولكن طلب المسيو لوران الاخير كان شديدا عليها ومؤلماً لقلبها ومن محاسن الصدف ان ماري كانت متحفظة على بعض الاوراق والاسهم المالية التي تخص والدها بعد موته لتكون عندها بمثابة اثر وتذكار فما تشعر الاوقد ارتفعت تلك الاسهم دفعة واحدة فصارت ماري الفقيرة غنية مثرية في اسرع من لمح البصر ففكرت بادئ بدء ان تهب مالها لبرتا قياماً بوفاء دين ابيها ولكنها عادت فرأت انها بموت ابيها صارت هي أيضاً غنية فيجب ان تضحي لها ما هو أعظم من ذلك تضحي لها شبابها ومستقبلها كما طلب المسيو لوران

وبينما كانت ماري تسبح في بحار هذه الافكار والتأملات مر في مخيلتها خاطر كالبرق فعولت على ان تقابل حبيبها وتقف على درجة منزلتها في قلبه حتى اذا كان صادقاً في حبها طلبت اليه تأجيل الزواج نحو عشرة سنوات وعندئذ تبسمت لهذا الفكر ونهضت تقصد قاعة الاستقبال

كان المسيو فيليب دي ريناك يتقلب على أحر من نار الجمر ويتململ من طول الانتظار ولما دخلت ماري بادر الى استقبالها بتلهف ولما استقر بها المقام أخذ يعزيها أوّلا على وفاة خالها المسيو لوران واستطرد الكلام عن حبه لها وكيف انه قضى مدة الحداد يتحمل مرارة الصبر والانتظار وانه يؤمل ان لا تخيب رجاءه بعد ذلك وتشرع في تحقيق أمنيته وهي طلب الاقتران بها . فأجابت ماري بصوت مرتجف :

— اني أشكرك ياسيدي على احساساتك الشريفة نحوي ولو لم اكن مقيدة بسلاسل واغلال قوية لما اتخذت زوجاً سواك !

فذعر الشاب من هذا الكلام ونهض منتصباً على قدميه كمن لدغته حية أو لمسه سلك كهربائي . وقال بتنهد ما اشقاني وقد أبعدت عن ساحة رحمتك

قالت انك فهمت الامر بالعكس ياسيدي

قال نعم اني لا افهم مرادك

أجابت بتنهد اعلم يا عزيزي انني أقسمت لخالي وهو على فراش الموت اني لا اتزوج الا اذا كانت برتا تتزوج أولا او تكون بالغة من العمر ٢٠ سنة

قال اذا كان هذا كل عذرك فأنا لا اراه مقبولا لان المسيو لوران قال ما قال شفقة على ابنته وهو لا ينتظر تنفيذ رغبته حرفياً ومع ذلك فان ابنة لوران ستكون اسعد حظاً واكمل راحة متى احتاط بها صديقان واكتنفاها

هذا كان فكري ولكن خالي لم يرض به ولم يشاء ان يكون قلبي مشتركا بين ابنته وشخصي وقد اقسمت له بذلك وليس من الشهامة والشرف ان انكث العهد . والفقيد الراحل له عليّ افضال لا تنكر فلا تلح عليّ ناشدتك الله في الحيادة عن مبدائي وان كنت لا تستطيع الانتظار فأنا احلك من كل عهودك معي وأرضى بتعاسة حظي ولا أشرك أحداً سواي في هذه التعاسة . فلبث فيليب برهة متردداً ثم

نهض على قدميه ونظر الى ماري وهو يقول بلهجة الحر الابي النفس :

ـ اني لا أرضى يا مليكة فؤادي ان اتركك مهما حالت دون زواجي بك الموانع والعراقيل وسأبقى رهين أمرك منتظراً رضاك مدة عشر سنين فقالت ماري وقد كاد يذهب صوابها من شدة الفرح ـ أصحيح ما تقول يا فيليب ـ قال نعم وسأعمل برغبتك منذ الآن فأسافر الى حيث لا ترين وجهي الا بعد انتهاء هذه المدة لاني ان بقيت بجانبك يتعذر عليّ ذلك بالمرة وقد كان أحد أصدقائي عرض عليّ وظيفة في مصلحة السكة الحديد بالبلاد التونسية فالاجدر ان اسافر حالا حتى اذا عدت اليك بعد انقضاء المدة اكون قد احرزت جانبًا من الثروة فأكون اهلا لك فهل ترضين بذلك . وعلى ذلك ودع العاشقان بعضهما وسار كل في سبيله

* * *

مليكة فؤادي وقرة عيني ـ قد حان وقت الاجتماع ومنّ الله عليّ بقرب اللقاء وعن قريب اكون بين يديك واتمتع بمشاهدة محياك وعندئذ اشرح لك ماذقته في خلال هذه المدة من لوعة الوجد وتباريح البعاد وآلام النوى الخ

كانت ماري تقرأ هذا الكتاب الذي بعث به اليها فيليب وتكرر تلاوته وهي ثملة نشوانه من خمرة الفرح وصهباءِ السرور وكانت تعجب بدوام الحب واستمراره الى هذا الحد في قلب فيليب الذي لم تكن تظفر منه طول هذه المدة بغير المراسلة والمكاتبة دون المشاهدة ولم تذق اجفانها لذة الكرى في تلك الليلة التي وصل فيها هـذا الكتاب اليها حتى اذا بزغ نور الفجر نهضت بنشاط واخذت تقطف الزهور من البستان لتزين بها المنزل لمناسبة قدوم حبيبها اما برتا فكانت تساعدها في عملها بفرح وسرور اكراماً لذلك المهاجر الذي غادر البلاد ولم يرتسم وجهه في مخيلتها تماماً وقد صارت الآن شابة في عنفوان الصبا بعد ان كانت طفلة صغيرة وكانت تظن ان فيليب قد اشتعل رأسه شيبًا وبلغ من العمر عتيًا ولكنها كانت تظن ايضاً ان ماري وصيتها صارت عجوز هي ايضاً فكانت تقول في نفسها انهما اهلا لبعضهما

وبينما كانت هذه الافكار تجول في خاطرها قرع الباب وكانت ماري مختبئة بين أغصان شجرة فنهضت من مكانها وقد وضعت يدها على صدرها لتوقف ضربات قلبها المتواترة وكانت برتا قريبة من الباب فهرعت اليه وفتحته وتأخرت الى الوراء قليلا وهي مندهشة حيث رأت امامها رجلا نحيف الجسم صغير السن ذو وجه بشوش سودته اشعة الشمس الحارة اما هو فاسرع الى الفتاة برتا وهو يظنها حبيبته ماري وضمها الى صدره وطوقها بذراعيه وهو يقول (عزيزتي ماري) فتقهقرت برتا الى الوراء وهي تقول هل انت المسيو ريناك يا للعجب ثم تغلبت عليها طباع الصغر فقهقهت ضاحكة وقالت لست ماري بل انا برتا التي تركتها طفلة صغيرة . أما ماري فكانت تشاهد هذه الحالة على بعد وقد نفذ سهم الحزن الى قلبها ووقف الدم في عروقها . فصرخت برتا تنادي ماري لاستقبال حبيبها وهي تقهقه وتضحك وتقول انه يسلم عليّ ويظنني اياك . ثم تقدمت الى ريناك لتسلم عليه فخجل مما فعل ولكنه عوضاً عن ان يبادر اليها فيضمها اليه احنى رأسه باحترام ومد اليها يده وصافحها كما يتصافح الغريبان. وقد مضت على هذه المقابلة مدة ليست قصيرة وماري تذوق من الالم والعذاب صنوفاً والواناً

وفي ذات يوم جاءت برتا اليها وأخذت تلاطفها وتجاملها ثم قالت لها ان عندي كلام يا عزيزتي ماري اريد ان القيه اليك فانك لا تعرفين اني احب المسيو ريناك واظن انه هو كذلك يحبني . فعندئذ اغمضت ماري عينيها كأنها لا تريد ان ترى شيئاً كما فعلت عند ما طلب منها المسيو لوران وهو على سرير الموت ان تضحي غرامها في سبيل تربية ابنته وقد كانت تنتظر من برتا هذه الاباحة منذ شهر من الزمان لان ريناك كان يواصل الزيارة للسيدتين ويظهر التودد اليهما على السواء ولكن ماري كانت تلمح من مغامز عينيه ومن لفتات برتا ما يقطع منها كل امل وقد طال زمان زيارته لهما ولم يخاطب ماري في أمر الزواج وربما كان مدفوعاً بشرف

مبادئه الى الوفاء بوعده واتخاذها شريكة حياته اما ماري فادركت بنباهتها سر هذا السكوت . فاستأنفت برتا الكلام وهي قلقة مضطربة وقالت أتجدين ما نعاً في اقتراننا يا عزيزتي اجابت كلا فابرقت اسرة برتا وعلا وجهها السرور وقالت اذن ترضين بتجهيز ما يلزم لذلك معي قالت كوني في اطمئنان من هذه الوجهة فشكرتها على هذهِ الطيبة وترامت على عنقها تقبلها

وهكذا تم الامر فعلاً ووفت ماري دينها ولم ترحمها القدر فما أصعب الدين وما أجمل الوفاء به على القادرين

﴿ تمت ﴾

﴿ دفع افتراء ﴾ توهم بعض الاغبياء اننا نقصد بنشر القصيدة المعنونة (بفتاة العصر) في الجزء الماضي فتاة معينة او شخصاً معلوماً والحقيقة اننا لا نبغي الا تمحيض النصح العام واظهار الحقائق على علاتها فلا معنى لهذا التوهم الفاسد والتأويل البارد

﴿ تنبيه ﴾ لدينا عدة مقالات وتقاريظ وانتقادات منعنا عن نشرها في هذا الجزء ضيق المقام وموعدنا بها الجزء الآتي ان شاء الله وكل آت قريب

